العرب
الخميس 2020/05/21
السنة 42 العدد 11709

ومتى تصلون؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

في 7 أغسطس 1979 أطلق الخميني صرخته المدوية التي أمر فيها بجعل آخر يوم جمعة من كل شهر رمضان من كل عام يوما عالميا للقدس، داعيا الجماهير الإيرانية والعربية والإسلامية إلى أن تخرج، في هذا اليوم، إلى الشوارع والساحات والميادين، لتهتف بالموت لإسرائيل، ولتعلن عن قرب صلاتها في حرم القدس الشريف، ولكن بعد زوال إسرائيل كلها من الوجود.

وتنفيذا لوصيته، وتخليدا لصرخته المدوية التي أطلقها قبل أربعين عاما، بالكمال والتمام، رفعت الجماهير العراقية العريضة الوفية للإمام، الاثنين، جدارية كبرى في ساحة بيروت في بغداد، وعليها صور الخميني وعلي خامنئي والقتيلين قاسم سليماني وأبي مهدي المهندس، استعدادا للاحتفال بهذا اليوم العظيم.

منذ عام 1979 والنظامُ الإيراني لا يتوقف عن الهتاف بموت إسرائيل، ولكن لا يموت غيرُنا بالعشرات، وأحيانا بالمئات، تارة بمفخخات أعوانه ووكلائه العراقيين واللبنانيين واليمنيين، وأخرى برصاص اليهود الذي يتساقط في فلسطين وسوريا ولبنان

وبهذه المناسبة المقدسة، أيضا، وكعادته كل عام، يخاطب المرشد الأعلى، علي خامنئي، قائدُ الثورة الإسلامية، الفلسطينيين والعرب والمسلمين ليعاهدهم، مجدُّدا، على أن يفي بوعده فيمحو (لهم) إسرائيل من الوجود، ويحرر قدسهم، وفلسطينهم، كلها، من النهر إلى البحر، ولكن عندما تسمح الظروف.

ومنذ العام 1979 والنظامُ الإيراني لا يتوقف عن الهتاف بموت إسرائيل، ولكن لا يموت غيرُنا بالعشرات، وأحيانا بالمئات، تارة بمفخخات أعوانه ووكلائه العراقيين واللبنانيين واليمنيين، وأخرى برصاص اليهود الذي يتساقط في فلسطين وسوريا ولبنان.

ومنذ تسع سنوات، وجمهوريةُ الولي الفقيه تجدد قسَمَها بأغلظ الأيمان على أنها سوف تنتقم لدماء ضباطها وجنودها ووكلائها العراقيين واللبنانيين الذين يحصدهم طيران اليهود في سوريا ولبنان والعراق، وعلى أنها ستثأر لهيبة حليفها بشار الأسد التي يلطخها الإسرائيليون بالدم كل يوم، وكل ساعة، ولكرامة الإمام المجاهد حسن نصرالله التي أصبحت "الحائط الواطي" لصواريخ بنيامين نتنياهو الذي لا يُخفي شماتته بها وبنا وبعرب فلسطين بعد كل غارة من غاراته التي لا تنتهي.

وفي أعقاب كل غارة يغضب قادة الحرس الثوري وزعماءُ محور المقاومة والممانعة فيهددون بأن "هذا (العدوان الغاشم) لن يمر دون رد"، ولكنهم يتركون مكان الرد وزمانه للظروف.

ولكن الحقَّ الذي لا بد أن يُقال هنا هو أن الغالبية العظمى من الجماهير الإيرانية والعربية والإسلامية قد كشفت اللعبة، مبكرا، وآمنت بأن دعاوى النظام الإيراني الفلسطينية خاوية من مضمونها، وذلك لأنه بالكاد يحافظ على بقائه واقفا، ويبذل الغالي والرخيص لضمان ما تبقى من وجوده (نفسه) في العراق وسوريا ولبنان، وربما في إيران ذاتها. وما وعودُه الفلسطينية تلك إلا وسيلتُه التي لا يملك غيرها ليَخرج على الناس بثياب المجاهد المقاوم الممانع القادر على الفعل، ولتبرير تدخلاته الاحتلالية في بعض دول الجوار، ولاستمرار ابتزاز شعوبها، ونهب ثرواتها، وإذلالها.

والفئة القليلة التي تواصل تصديق شعاراته، وتشاركه في ترويجها، فهي إما أن تكون مغفلة تَمكّنَ من استغلال جهلها أو تديُّنها بخطابه الطائفي المغشوش فأوقعها في حباله، أو مستفيدة منه ومن حاجته إلى مجنّدين يقاتلون بالنيابة عن جنوده وضباطه لخدمة أهدافه القومية التي لا شغل لها بالدين والطائفة، ولا بفلسطين.

فليس يُعقل أن تكون أربعون سنة غير كافية لإفاقة هذه الفئة المُضلَّلة من غفوتها، ولتفتيح عقلها وقلبها وروحها وإقناعها بأن دعاواه الفلسطينية كذب ورياء.

ولا بد أن يكون الذين رسموا، وكتبوا تلك الجدارية الضخمة المُهينة للهوية الوطنية العراقية، ورفعوها في ساحة بيروت ببغداد، والتي تَعِدُ بالصلاة في القدس قريبا، أكثرَ من وَلِيهم الفقيه ومن قادة حرسه الثوري تزويرا ونفاقا وغشا وخديعة، لسبب بسيط هو أنهم الأقرب إليه، والأكثرُ قدرة على إدراك ضعفه وهزاله وعجزه عن حماية نفسه، داخل حدوده ذاتها، خصوصا في أيامنا هذه التي تتصاعد فيها احتجاجات الغاضبين العراقيين واللبنانيين واليمنيين والفلسطينيين المصرين على تحرير أنفسهم منه ومن وكلائه الفاسدين المفسدين، وفي أعقاب ما فعلته به عقوبات الرئيس الأميركي دونالد ترامب وجائحة كورونا وأسعار النفط وتهاوي العملة، وما خفي كان أعظم.

وفي كل عام يعِدنا بالصلاة في القدس قريبا، واليهود يضاعفون مستوطناتهم، ويضمّون أراضيَ عربية جديدة.

فقد ذهبت القدس حين أمر ترامب بإهدائها لإسرائيل واعترف بها عاصمة موحدة لدولة اليهود، وسوف يضم الضفة الغربية إلى دولة إسرائيل، ولا يسمع نتنياهو ولا ترامب سوى الهتافات والبكاء على الأطلال والوعد الذي لا يتحقق.

وكأن أربعين عاما من الوعد بمحو إسرائيل وتحرير فلسطين ليست كافية.

وكأن على الفلسطينيين أن ينتظروه أربعين سنة أخرى، ويسفحون فيها بحارا أخرى من الدم والدموع.

ومنذ أربعين سنة والقائد المؤسس الخميني، ووريثه، حسينُ هذا الزمان، لا يَقدِران إلا على الضعفاء والفقراء والمساكين الإيرانيين والعرب والمسلمين. يقتلان هنا، ويحرقان هناك، ويعتقلان هذا، ويغتالان ذاك، ويُهجران أولئك، ويملآن كل أرض يطآن ترابها ظلما على ظلم، وجهلا على جهل، وفقرا على فقر، ولا يخافان من الله، ولا يستحيان من عباده أجمعين.

ألم ترَ كيف يُسلط وكلاءَه العراقيين لدمار أهلهم العراقيين الذين لا يؤمنون بقدرته على الصلاة في القدس في يوم من الأيام؟

وألم تروا كيف استعان في سوريا بحليفه "المجاهد" فلاديمير بوتين ليسانده على ذبح السوريين الكفرة الذين لا يريدون تحرير القدس الشريف؟

وألم يستعن الإمامُ المجاهد حسن نصرالله بأموال الولي الفقيه وسلاحه ورجاله لقهر جماهير شعبه اللبناني التي لا توافق على تحرير فلسطين، ولا تريد محو إسرائيل من الوجود؟

وانظروا كيف تقاتل جماهيرُ يمنية عريضة، بصواريخ الجمهورية الإسلامية الإيرانية ورجالها وأموالها، جماهيرَ يمنية أخرى لا توافق على رمي اليهود الصهاينة في البحر المتوسط؟

وخلاصة الخلاصة هنا أنهم لا يفقهون، أو أنهم يفقهون ولكن لا يستحون.

"سنصلي في حرم القدس قريبا". نعم. ولكن متى، وكيف؟ الله أعلم.

إيران خارج اللعبة السورية التي تكتظ بالشركاء

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لن يطلب أحد من إيران الخروج من سوريا فهي لا تملك جيشا رسميا هناك. هناك وجهان للمسألة.

الوجه الأول يتمثل في حزب الله اللبناني والميليشيات العراقية، وهو ما يقع تحت نظر القوات الروسية وتتكفل إسرائيل بمعالجته من خلال ضربات جوية بين حين وآخر.

أما الوجه الثاني فإنه يتمثل بالاستيطان الإيراني في ضواحي دمشق وبالأخص في ضاحية "السيدة زينب". وهو ما يقع ضمن اختصاص النظام الذي ورط سوريا بإيواء أعداد كبيرة من الإيرانيين الذين سيكون وجودهم في المرحلة المقبلة مصدر إزعاج للسوريين.

لم تعد إيران قادرة على تحمل تكلفة وجودها العسكري غير المباشر في سوريا. وإذا ما كان تأمين طريق طهران – بيروت قد شكل سببا رئيسا لذلك الوجود، فإنه في المرحلة المقبلة لن يكون ضروريا. ذلك لأن إيران لن تكون قادرة على تقديم الدعم إلى حزب الله وتمويله.

وسيكون من الصعب على حزب الله والميليشيات العراقية الاستمرار في البقاء على الأراضي السورية في ظل غياب العامل الإيراني. فبقاء النظام السوري لم يكن هدفا من وراء الحرب التي خاضتها تلك الميليشيات، بل كان الهدف الرئيس يكمن في إبقاء طرق التمويل مفتوحة عبر سوريا.

لن تنتظر الميليشيات الإيرانية وضمنها حزب الله طلبا من الحكومة السورية لكي تغادر الأراضي السورية. لقد صار واضحا أن هناك اتفاقا روسيا – إسرائيليا على ضرورة أن تغادر تلك الميليشيات في أسرع وقت. وبغض النظر عن الضربات الإسرائيلية، فإن تكلفة الاستمرار في البقاء على الأراضي السورية صارت باهظة، وهو ما لا يستطيع حزب الله أو الميليشيات الأخرى تحمّله في ظل ضائقة مالية صار لبنان والعراق يعانيان منها. ناهيك عن الأفق صار مسدودا في وجه إيران.

سيكون بشار الأسد محظوظا في تخلصه من العبء الإيراني. ولكن حظه لن يكون سعيدا مع الروس. ذلك لأنهم عقدوا اتفاقات من غير الحاجة إلى استشارته مع أطراف عديدة لها علاقة بالمسألة السورية، بعد أن تشعبت دروبها وتعددت القوى التي وجدت أن لها مصلحة فيها. هناك بشكل أساس تركيا والولايات المتحدة وإسرائيل.

أطراف لا يملك بشار الأسد القدرة على الاتصال المباشر بها من أجل فهم ما تريد فيما تملك روسيا خطوط اتصال ساخنة مع كل واحد منها.

كان طرد إيران من الأراضي السورية شرطا. ذلك الشرط تحقق من غير الحاجة إلى ضغوط. غير أن هناك اختلافا على صورة سوريا التي سترعاها روسيا في المستقبل.

كل واحد من تلك الأطراف يملك وجهة نظر مختلفة وله أيضا مصلحة مختلفة.

تتمسك تركيا بحجة حماية حدودها الجنوبية من هجمات الأكراد من أجل الإبقاء على منطقة آمنة شمال سوريا، فيما تتخذ الولايات المتحدة من عقوباتها المفروضة على إيران مسوغا لاستمرار وجودها على الأراضي السورية من أجل قطع طريق الإمداد ذهابا وإيابا بين طهران وبيروت.

تبقى إسرائيل فهي صاحبة المصلحة المزدوجة الكبرى. سوريا الموحدة بنظام سياسي ضعيف. ذلك ما يشكل المعادلة التي تسعى إسرائيل إلى فرضها من غير تدخل مباشر. فتلك المعادلة قد لا تخرج بعيدا عن نطاق ما يفكر فيه الروس وهم يسعون إلى الحفاظ على نتائج تدخلهم في سوريا من غير أن يصطدموا بالشركاء الآخرين الذين يمكن إزاحة اثنين منهم على الأقل بهدوء، الولايات المتحدة وتركيا، والإبقاء على إسرائيل باعتبارها شريكا ليس فاعلا على الأرض.

نهاية من ذلك النوع قد لا تغضب الأسد إذا ما كانت تشكل قاعدة لبقاء نظامه. ولكن سوريا الموحدة ستكون جسدا مريضا وهو ما سيضع الروس في مواجهة مسؤولية قد لا يكونون قادرين على النهوض بأعبائها.

ماذا يخشى الخمينيون؟

بهاء العوام
صحافي سوري

تزداد مخاوف حكام إيران بذات القدر الذي تزداد فيه عنجهيتهم. يبدو الخمينيون وكأنهم لا يخشون شيئا وهم يضمرون القلق إزاء العديد من القضايا التي تحيط بهم اليوم. لم يعد يجدي ذلك الادعاء بأنهم اعتادوا العمل تحت العقوبات والحصار الاقتصادي. ولم يعد مجديا، أيضا، تجاهل حقيقة أن خصوم طهران باتوا أكثر إصرارا على تقليم أظافرها في المنطقة.

على عكس ما يدّعي الخمينيون، فإنهم باتوا يخشون المعارضة في الخارج لأنها نجحت في احتواء الشارع الناقم عليهم. نجحت في مواكبة الغضب الشعبي المتزايد على نظام أثقل كاهل الإيرانيين بحروب خارجية وهمية لا تعنيهم بأي حال كان. أزمة كورونا ساعدت في ذلك لأن النظام يُخفي كثيرا من الأسرار والأرقام في التعامل معها، والمعارضة تفضحها وتكشفها للإيرانيين.

قلق الخمينيين من المعارضة في تعرية أخطائهم في أزمة كورونا، تسمعه علانية عبر أبواقهم الإعلامية والسياسية. وهذا القلق يعبر عن خشية حقيقية من موجة ثانية للاحتجاجات تدنو شيئا فشيئا. ولا يبدو أن تعامل النظام معها بذات القمع الذي اعتاد عليه مضمون النتائج. فالظرف الداخلي يختلف هذه المرة، والتغاضي الخارجي سيكون أقل مقارنة بالمرات السابقة.

في الظرف الداخلي ما يستدعي قلق الخمينيين بعيدا عن دعم المعارضة للشارع الإيراني. فتلك التحذيرات المتواصلة لأزلامهم من خطر وسائل التواصل الاجتماعي تدلل على التأثير الكبير لها، وعلى اتساع رقعة المزاج العام الناقم الذي تشكل عبر منصاتها.

الأفضل ألا يتجدد الحراك الشعبي ضد السلطة. لسان حال الخمينيين يقول هذا. ولكن ما السبيل إلى ذلك إن كانت كل الوقائع تحرض عليه. العقوبات الاقتصادية الخانقة، وأزمة كورونا، وتوتر العلاقات مع الغرب، وحتى مكاسب إيران في المنطقة العربية باتت عبئا على نظام طهران. لم يعد هناك من ملاذ أمن يمكن أن يهرب إليه الخمينيون دون أن يتلفتوا حولهم خوفا وقلقا.

ثمة حراك إنساني ضد الخمينيين لا تقوده المعارضة، ولا يمكن تسييسه بحجة المؤامرة على النظام. هذا الحراك تقوده منظمات حقوقية ويشكل رافدا للنقمة الشعبية التي تكبر داخل إيران.

بشهادة منظمة العفو الدولية قمعت السلطات الإيرانية حرية التعبير ومنعت تكوين الجمعيات أو الانضمام إليها.

ثمة الكثير مما يخشاه الخمينيون في الداخل والخارج. وهم يعرفون أكثر من غيرهم أن الوقت لم يعد في صالحهم لأن التاريخ لا يعيد نفسه

واستخدمت قوات الأمن القوة لسحق الاحتجاجات فقتلت المئات من المحتجين واعتقلت الآلاف بشكل تعسفي.

ثمة حراك آخر ضد نظام إيران في الدول التي يهيمن عليها الخمينيون في المنطقة العربية. وإن كان وباء كورونا قد هدأ من موجة هذه الاحتجاجات، فهو لم يلغها ولم يقلل من تأثيرها.

ما كانت تستطيع فعله طهران بجرة قلم أو باتصال هاتفي في تلك الدول، بات يستدعي كثيرا من المال والجهد والتنازلات. وعندما يبدأ مسلسل التنازلات لا أحد يعرف كيف سينتهي.

خطر العقوبات الأميركية لا يزال يتربص بالخمينيين أيضا. مازالوا يخشون اتساع رقعة هذه العقوبات وتداعياتها. فهي لم ولن تصبح بالنسبة للنظام الإيراني ماضيا يمكن تجاوزه. خاصة وأن عدد أصدقاء نظام الخميني حول العالم يقل بشكل واضح. وتقل معه أبواب الهروب من حصار العقوبات الحالية، وتلك العقوبات التي تعدّ بهدوء في مطابخ السياسة الدولية.

في هذا السياق تخاف طهران تمديد حظر التسليح المفروض عليها من قبل مجلس الأمن الدولي. وتخشى أيضا من عقوبات أوروبية على برامجها النووية والصاروخية. لم يعد في جعبة الصينيين والروس الكثير من الدعم الذي يمكن للخمينيين التفاؤل به. ولا يبدو أن نظام الرئيس التركي رجب طيب أردوغان المأزوم يستطيع المساعدة. أما الأصدقاء في المنطقة العربية فلديهم ما يكفيهم من المشاكل.

ليس بالضرورة أن تستهدف العقوبات المتوقعة من الغرب الخمينيين بشكل مباشر، وإنما يمكن أن تطال أذرعهم في المنطقة والعالم. على رأسها حزب الله الذي يخطو بسرعة نحو قوائم الإرهاب للدول. ولكل ما يطال هذا الحزب تحديدا رمزية خاصة لسببين، الأول هو أن الخمينيين يعتبرونه أفضل منجزاتهم. والثاني هو أن كل ما يطال حزب الله من عقوبات، سيطال لاحقا أذرع طهران الأخرى، لأنها جميعها تعمل بذات الفساد والإجرام والإرهاب.

في ذكر مخاوف طهران أيضا، لا بد من أن نعرج على الاستهداف الإسرائيلي المتواصل لميليشيات إيران ومقراتها في سوريا. هذا الاستهداف يلتهم من هيبة المقاومة أكثر بكثير مما يلتهم من القدرة العسكرية للخمينيين.

ثمة الكثير مما يخشاه الخمينيون في الداخل والخارج. وهم يعرفون أكثر من غيرهم وأن الوقت لم يعد في صالحهم لأن التاريخ لا يعيد نفسه. وكما تراكمت لديهم الخبرة في قمع خصومهم على مدار عقود، تطورت لدى خصومهم حنكة التعامل مع نظام مستبد لم يهنأ يوما بالعيش دون خوف من فقدان السلطة.